

فنانة أردنية ترسم المرأة المتمردة في أحلامها

شيرين عودة

تجدد أسلوبها مستعينة ببساطة خطوطها

فاروق يوسف
كاتب عراقي

«المرأة الفراشة معصوبة العينين» صورة يغلب عليها الأسود والأبيض لا تنسى. ربما لأنها تضعنا في صلب قضية الأنوثة في مجتمع ذكوري. ربما لأنها تمثل نوعاً من الاحتجاج في زمن قصير هو عمر الفراشة. هناك صيحة كاملة في ذلك العمل هي من النوع الملح الذي لا يقبل التأجيل. شيرين عودة ترسم المرأة كما تفعل الإخريات عبر العالم، غير أنها لا تكتفي بالتعامل معها باعتبارها موضوعاً بل وايضا قضية. تميز الرسامة الأردنية بين قضية المرأة والمرأة باعتبارها قضية ذاتها.

الطفلة تقيم بين قوسين

صورة المرأة المكتملة والمتوجة بالأزهار تحتمل غير تأويل وكلها تتعلق بمفهوم الحرية. تلك الصورة هي صنعة طفلة تحلم أن تكون امرأة. بمعنى أنها تحلم بمستقبلها. وهي مستقبل مصنوع بتقنية طفل. ذلك الطفل الذي لطالما تمت



الرسم عند عودة هو خلاصة لفلسفة يمكن من خلالها أن نتعرف بشفاافية على العالم الذي تشيده الفنانة من مواد حية، هي عبارة عن مجموعة الخبرات التي خرجت بها كأمراً من تجربتها في العيش.

شيرين أن ترسم بيديه من غير أن تقلده. ترسم عودة لتستحضر عالماً يقع بين قوسين. قوس لما تراه حقيقياً وآخر ليس عليك سوى أن تعترف بواقعيته. ولأن الرسامة صاحبة قضية فإنها تسعى إلى أن تفصل بين العالمين. وهي تلاحق من خلال ما تقوم به المرأة في كل تجليات ظهورها.

ليس الرسم بالنسبة لها نوعاً من العمل المنزلي بحيث تخصص في تقديم فكرة عما تراه المرأة من العالم من خلال الرسم. ليست تلك هي الطريقة المثلى لتعريف الرسم داخل حاضنته النسوية. لا تعبر عودة من خلال الرسم عن طريقة نظرها إلى العالم. إنها تختبر الرسم في عمل آخر. يتعلق ذلك العمل بالنظر إلى أحوال المرأة ذاتاً منفردة وكأنها اجتماعياً. الرسم هنا هو خلاصة لفلسفة يمكن من خلالها أن نتعرف بشفاافية على العالم الذي تشيده الفنانة من مواد حية، هي عبارة عن مجموعة الخبرات التي خرجت بها كأمراً من تجربتها في العيش.

«المرأة المقموعة» ذلك هو العنوان الخفي الذي يفتح على عالم الفنانة الغاص بالزهور والطيور التي تزين المشهد وأقياً غير أنها تظل رموزاً سلبية لواقع هش يتم تدميره شيئاً فشيئاً. ذلك العالم الذي تدافع شيرين عن حيويته بعد أن تحول إلى أثر زخرفي. عودة رسامة نسوية وهو حدث غير مسبوق في ثقافتنا المحلية.

ولدت في الأردن عام 1970 وتخرجت في معهد الفنون الجميلة في الأردن عام 1992. ومنذ ذلك الحين أكملت العديد من دورات الفن والطباعة في دارة الفنون الصيفية وفي المتحف الوطني الأردني. وهي في كل مناسبة تظهر امتنانها للفنانين الذين أشرفوا على تربيتها الفنية ومنهم الأردني خالد خريس والأميركية لين السين، مديرة كلية الفنون البصرية بجامعة بوسطن.

أقامت أكثر من عشرة معارض شخصية، وهي تعمل وتعيش منذ سنوات في مونتريال بكندا.

ترسم نسائها ببساطة. مجرد خطوط سوداء خارجية من غير تفاصيل. الأمر أشبه بالإعلانات غير أن التأثير يختلف. ذلك لأن التعامل مع الموضوع لم يكن مباشراً. رسمت شيرين سعيها منها في اتجاه غايتها. الأولى جمالية والثانية فكرية. وهي إن كانت تميل إلى الغاية الثانية من أجل التعبير عن تعمرها وغضبها ورغبتها في أن تكون المرأة في وضع أفضل فإن يدها لا تخفى الطريق إلى الجمال. رسوماتها جميلة وأنيقة. ولكن هل يمكننا الاكتفاء بذلك الوصف؟ قد لا يزعم ذلك التصنيف الفنانة التي لن تتوهم بأن الكثيرين يميلون إلى أفكارها عن تحرر المرأة. هناك من لا يشاركها أفكارها غير أنه سيعجب برسوماتها من جهة جمالية. وهي تخلق نوعاً من الجدل بين المتلقي ونفسه وبينه والآخرين. ذلك ما تعتقد أنه من مهمات المرأة الفنانة في

عصر تبدو فيه المرأة وأقياً كما لو أنها تتمتع بكامل حريتها غير أنها في الحقيقة لا تزال تخضع لقبود كثيرة تضعها في مكانة الكائنات الثانوية.

مرح وخفة وامتزاج بالطبيعة

تقول إن «بعض النساء لا يدركن إمكانياتهن بالنضحية بانفسهن من أجل علاقاتهن بينما يجبر المجتمع الآخر على



تشكل بنية الطريق إلى الحقيقة، هناك من يشير إلى العقل الباطن كما لو أنه المصدر الذي تنبعث منه الصور التي تستعملها الفنانة. ذلك ليس صحيحاً، فالفنانة في كل ما تقوم به إنما تستند إلى وعيها وطريقة تفكيرها في الفن من جهة ومن جهة أخرى في أحوال المرأة في عالم لا يزال يعاني من قسوة التمييز. وما يميز فن عودة أنه يميل إلى الخفة والمرح لذلك يمكن القول إن الفنانة تنتمي إلى قلة من الفنانين العرب الذين نجوا من المصير الكئيب للفن في العالم العربي.

باعتباره قصفاً لحقائق يتم تغييرها في كل لحظة عيش. لوحات عودة هي سلسلة من الأحلام متصل بعضها ببعض الآخر. ما يحدث منها لا يتصل بشكل مباشر بالواقع. هناك قطعة بين المرأة وواقعها، وهي قطعة تعبر عنها الفنانة بانغماس المرأة في عالم الطبيعة المتمثل بالطيور والزهور وسواهما من مفردات الطبيعة. الفنانة من أجل أن تجمع المفردات البصرية التي

التخلي عن أحلامهن وطموحاتهن أو الحد منها؛ في نهاية المطاف حرمانهن من إنسانيتهن. في كلتا الحالتين، أحلامهن هي جزء من وجودهن والأحلام تلهم الأمل دائماً. إنها ترسم تلك الأحلام لتتمتع بها ومن أجل ما تنطوي عليه من حقائق وجوبية. المرأة المعلوم بها هي مصدر الإلهام وهي الزريعة لتجسير المسافة بين الواقع والحقيقة. ولأن الرسامة صاحبة قضية فإنها لا تغفل النظر إلى الواقع

زهد بالألوان واحتفاء بالأفكار

لقد اعتصمت الفنانة على الخط بمرورته وقوة إيحائه وما ينطوي عليه من خفة وهو ينتقل بين مساحات، لم تكن قد غطتها إلا بالألوان أحادية وبالألوان اللون الأحمر. في الجزء الأعظم من لوحاتها تسيطر ثلاثة ألوان هي الأبيض والأسود والأحمر. وإذا لا تجد الفنانة تفسيراً معقولاً لذلك الزهد فإن المسألة، من وجهة نظري، إنما تتعلق بموقف الفنانة من الحياة التي تنسج خطوطها حول المرأة باللونين الأبيض والأسود وتتفجر أحياناً باللون الأحمر. تقول «تتعاكس أعمال الفنانة ذاتي الداخلية واتمنى أن تكون الحياة يوماً ما أسهل بكثير وأقل تعقيداً» ذلك ما توصلت إليه الفنانة التي ببراعة تقنية لافتة. إنها البساطة التي تدش. قريبة من تقنية الإعلان، غير أنها لا تنقل موضوعات مباشرة. إنها تخاطب العين بطريقة ساحرة لتأخذها بعيداً عن لحظة النظر ولتبدأ بعد ذلك عمليات تفكير معقدة.

مشدودة هي إلى قضيتها بأسلوب غير مسبوق. تحدث تجربتها الفنية بما تعلمته من أصول فن الحفر الطباعي غير أنها تذهب أبعد حين تسعى إلى تبسيط أفكارها عن المرأة المتمردة على أساليب القهر والتغيب. وكما أرى فإن ما اكتسبته الفنانة من خبرة في مجال الحفر الطباعي ساعدها على تمرير أفكارها ببساطة هي ليست من النوع الذي يمر عابراً، بقدر ما تكون وسيطاً للوصول إلى الأعماق. تحتفي عودة بأفكارها وسط طقس لوني متكشف، غير أنه شديد الحساسية ليتشكل في ما بعد عالم يتشبه بالمرأة من جهة تناقضات عناصره. الضعف والقوة. الصلابة والهشاشة. الجاذبية والتخليق. المرأة التي تحلم بها الفنانة هي كل تلك التناقضات التي تستفيد منها بصريا لتقيم عالماً وفيها لأحلامها. شيرين عودة ترسم خلاصات أحلامها.

